

﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا

تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: 91]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعدَ أَنْ طلبوا من المعجزاتِ ما كَانَ لأنفسِهِمْ في أَنْ يَفْجَّرَ لَهُمْ من الأرضِ ينبوعًا، وَقَدْ قُوبِلَ بِالرَّفْضِ مِنْهُ ﷺ ثَنُّوا بطلبِ المعجزاتِ الَّتِي تَكُونُ لِأَجْلِهِ ﷺ بِأَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَتَفَجَّرُ فِيهَا الْأَنْهَارُ، يَأْكُلُ مِنْهَا، وَيَتَمَتَّعُ، "كَأَنَّهُمْ قَالُوا: هَبْ أَنْكَ لَا تَفْجِّرُ هَذِهِ الْأَنْهَارَ لِأَجْلِنَا، فَفَجَّرَهَا مِنْ أَجْلِكَ" (1).

بعدَ أَنْ طلبوا
معجزةً
لأنفسِهِمْ، ثَنُّوا
بمعجزةِ تَكُونُ
للرَّسُولِ المرسل
إليهِمْ

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

خَيْرُهُ تَخْيِيرَ تَعْجِيزٍ، لَا تَخْيِيرَ تَيْسِيرٍ بَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْأَوَّلَى لَهُمْ، فَلْيَفْعَلْ شَيْئًا لِنَفْسِهِ، بِأَنْ يَكُونَ لَهُ بَسْتَانٌ فِيهِ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَتَتَفَجَّرُ فِيهِ الْأَنْهَارُ، وَتَجْرِي؛ فَتَسْقِي الزَّرْعَ وَالثَّمَارَ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّهُ إِذَا "كَانَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ يَفْجِّرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا؛ كَانَ فِي هَذَا مِنَ التَّوَسُّعِ فِي الدُّنْيَا مَا يَقْتَضِي نَقْصَ دَرَجَتِهِ، وَانْخِفَاضَ مَنْزِلَتِهِ" (2).

طلب جنة
للرَّسُولِ مع
الأنهار رمز
للتَّعْجِيزِ في
الطلباتِ،
وإِمعانٍ في
الافتئاتِ

❖ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

❖ دلالة الوصل بالحرف ﴿أَوْ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ﴾ الآية موصولة بما قبلها بحرفِ العطفِ ﴿أَوْ﴾ تَخْيِيرًا لَهُ (3) بعدَ أَنْ طلبوا مِنْهُ أَنْ يَفْجَّرَ الْيَنْبُوعَ، فَلَمَّا رَفَضَ؛ خَيْرُهُ (4) هُنَا بِأَنْ يَأْتِيَ بِمَعْجَزَةٍ أُخْرَى تَكُونُ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ الْبَسْتَانُ

التَّخْيِيرِ تَوْشُّعٍ
فِي التَّعْجِيزِ،
وإِمعانٍ في
المرادغة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 408.

(2) ابن تيمية، الجواب الصحيح: 6 / 436.

(3) لدلالة هذا الحرف على العطف والتَّخْيِيرِ، يُنْظَرُ: الرَّجَاجِي، حروف المعاني والصفات: 13 / 48.

(4) محمَّد الهلال، تفسير القرآن الثري: 15 / 91.

المشتمل على النّخيل والعنب، والجامع بين المعجزتين هي الأنهار، فإذا لم تفجّر لنا ينبوعاً؛ ففجّر الأنهار التي تسقي البستان؛ فيكون لك مع أنهارها⁽¹⁾، وتخييرهم توسّع في التعجيز إمعاناً في المراوغة.

دلالة التعجيز بفعل الكينونة مضارعاً:

عبر بفعل الكينونة مضارعاً بقوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ﴾؛ للإشارة إلى أنهم طلبوا أن تكون معجزته هذه متصفةً بالدوام والتجدد والاستمرار؛ لأن فعل الكينونة يدل على رسوخ الصفة وثبوتها، ويشمل الأزمنة كلها ماضياً منقطعاً وماضياً مستمراً وحاضراً ومستقبلاً، حتى يعرفوا فضله كرسول؛ فإنهم يعجبون من قيامه في الأسواق، والتماسه المعاش مثلما يلتمسون⁽²⁾.

الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿لَكَ﴾:

تقديم شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ﴾؛ لإفادة الحصر والتخصيص، أي: أن تكون الجنة لك وحدك⁽³⁾، فإنما طلبناها لك لا نبتغي الانتفاع منها، فإن زعمت أنك رسول من الله؛ فإنك مكرم عنده ولا شك، فهلاً يخصك بجنة حاوية النخيل والأعناب التي تُسقى مما يتفجّر فيها من الأنهار⁽⁴⁾.

معنى حرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ ودلالته:

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ دالة على الابتداء⁽⁵⁾، والمعنى: أنها جنة مركبة ابتداءً من النخيل والعنب، وفيه دلالة على التعجيز بتفصيل المطلوب بدقة وتحديد.

الغرض من تنكير ﴿نَخِيلٍ﴾:

قوله: ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ﴾ جاء بالنخيل منكراً؛ لإفادة التكثير والتعظيم

تعجيزهم
له، متّصف
بصفة التّجدد
والاستمرار

بيان أن الجنة
مخصّصة
لرسول وحده،
وهو مطلب
نفعه عائد عليه

تفصيل المطلوب
زيادة في
التعجيز

تكثير المطلوب
زيادة في تعجيزه



(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 208 / 15.

(2) الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن: 414 / 2.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 511 / 11، والشربيني، السراج للنير: 336 / 2.

(4) أبو حفص التّسفي، التّيسير في التّفسير: 478 / 9.

(5) وهو الأصل في معانيها في كلام العرب، اللبّد، القنضب: 44 / 1.

كمًا وكيفًا، ليس إكرامًا لرسوله ﷺ بل زيادة في تعجيزه؛ فهم ما طلبوا منه هذه الآيات إلا لتعجيزه وردّه عن دعوته.

دلالة التعبير بثمره العنب، دون شجرتها:

في جملة: ﴿أَوْ تَكُونْ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾، بعد أن ذكر النَّخِيلَ بصيغة الشَّجَرَةِ عطفَ عليه العنبُ بصيغة الثَّمَرَةِ لا بصيغة الشَّجَرَةِ، ولعلَّ سبب ذلك هو أنَّ الانتفاع بالعنبِ شجرةً قليلٌ⁽¹⁾، بخلاف النَّخِيلِ؛ ففي كلِّ جزءٍ منه نفعٌ وفائدة.

فائدة تخصيص (النَّخِيلِ) و(العنبِ) دون غيرهما:

وخصَّهما "بالذكر؛ لأنَّهما كانا الغالبين في هاتيك النَّواحي مع جلالة قدرهما"⁽²⁾، واكتفى بهما أيضًا؛ لفضلهما على سائر الأشجار⁽³⁾.

معنى (الفاء) ودلالاتها في ﴿فَتَفْجَرُ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ﴾ عاطفةٌ⁽⁴⁾، عطفت جملة التَّفْجِيرِ على جملة ﴿تَكُونُ﴾، ويجوز أن تكون دالةً على السَّبَبِيَّةِ⁽⁵⁾؛ فإنَّك إن أتيت بهذه المعجزة، وهي الجنَّةُ المشتملةُ على النَّخِيلِ والعنبِ؛ كان ذلك سببًا في أن تفجَّرَ الأنهارُ فيها لسقيها.

دلالة تضعيف عين المضارع ﴿فَتَفْجَرُ﴾:

أوردَ فعلَ التَّفْجِيرِ مضعَّفَ العينِ فقال: ﴿فَتَفْجَرُ﴾؛ للدَّلالةِ على المبالغةِ في فعلِ الفَجْرِ⁽⁶⁾، وهو الاتِّساعُ في الشَّقِّ، ويكونُ أكبرَ من مُطْلَقِ الفَجْرِ؛ لأنَّه لما تعدَّدتِ الأنهارُ؛ كان إيرادُ الفعلِ الدَّالِّ على

الانتفاع بشجرة العنبِ سوى ثمرتها قليلٌ، لأنَّه غير متاح لعموم النَّاسِ

بيان أنَّ التَّمر والعنب شائعتان في مكَّة، وأنَّ لهما قيمةً وقدرًا هناك

العطفُ على جملة الكون أو الإتيان بالجنَّة، سببٌ لتفجير الأنهار فيها

المبالغة للملحة في التَّضعيف، لإبانة تعدُّد الأنهار وكثرتها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 511 / 11.

(2) الألوسي، روح المعاني: 160 / 8.

(3) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 586 / 11.

(4) الهرري، حقائق الرُّوح والريحان: 226 / 16.

(5) القونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 586 / 11.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 209 / 15.

المبالغة اليق وأنسب؛ فإنَّ التَّفْجِيرَ بهذه الصَّيْغَةِ يفيدُ كثرةَ الأنهار⁽¹⁾؛
لكون "التَّشْدِيدِ يدلُّ على التَّكْثِيرِ"⁽²⁾.

الغرض من تعريف ﴿الْأَنْهَرُ﴾ وجمعها:

اللَّامُ في ﴿الْأَنْهَرُ﴾ هي لام الجنس، وهي تدلُّ على مطلبهم
العظيم زيادة في التَّعْجِيز، و"جمع الأنهار باعتبار تشعُّب ماء النهر
إلى شُعَبٍ عديدة"⁽³⁾، أو الجمع دالٌّ على كثرتها.

سرُّ التَّقْيِيدِ بِالظَّرْفِ ﴿خِلَالَهَا﴾، وعود الضَّمير فيه:

قوله تعالى: ﴿فَتَفْجِرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ (خلال) ظرفٌ بمعنى الوسط،
أي: إنَّ الأنهارَ تتوسَّطُ تلكَ الجنَّةَ وفي أثنائها، وفي داخلها، وبينها
في أصولها⁽⁴⁾، فشُعْبُهَا تتخلَّلُ الجنَّةَ لسقي الأشجار⁽⁵⁾، وفي تفاصيل
المطلوب مكاناً وعدداً إعنائاً ومشقَّة، والضَّميرُ يعودُ على الجنَّةِ، وهي
مزيَّة لسقي الأشجار؛ فإنَّها في موقعها من الجنَّةِ ذاكَ تكونُ أقربُ ما
تكونُ من أشجارها.

سرُّ التَّقْيِيدِ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمُؤَكَّدِ ﴿تَفْجِيرًا﴾:

قوله تعالى: ﴿تَفْجِيرًا﴾ مفعولٌ مطلقٌ مفيدٌ للتَّوكِيدِ، وعبرَ به هنا؛
لإرادة التَّكْثِيرِ؛ والمبالغة في العدد، يؤيِّدُ قوله: ﴿خِلَالَهَا﴾؛ فإنَّ شُعْبَ
الأنهار تتخلَّلُ الجنَّةَ لسقي الأشجار، وعلى هذا جاءت الأنهار جمعاً
- بحسب ما مرَّ ذكره - اعتباراً بتشعُّب ماء النهر إلى شُعَبٍ عديدة،
ويؤيِّد هذا المعنى إجماع القراء على قراءة ﴿فَتَفْجِرُ﴾ هنا بالتَّشْدِيدِ
مع اختلافهم في الذي قبله، وهذا من لطائف معاني القراءات
المروية عن النَّبِيِّ ﷺ، فهي من أفانين إعجاز القرآن⁽⁶⁾.

تعظيم
المطلوب، إمعانٌ
في التعجيز
والجحد

تحديد مكان
المطلوب، تعنُّت
في التعجيز
عجيب

بيان أنَّ الدَّلالة
على التَّكْثِيرِ،
والمبالغة في
العدد، تصعيد
في التحدي

(1) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 128.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4452.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 209.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 550، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 484، والتسفي، مدارك التنزيل: 2/ 277.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 209.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 209.

❖ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

خادل وبين:

عُبِّرَ بِالظَّرْفِ (خلال) في قوله تعالى: ﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾،
ومعنى خلالها: وسطها⁽¹⁾، والوسطُ أقربُ الأماكنِ لسقي الأشجارِ،
أما بين: فقد جُعِلَ مِنَ الْأَضْدَادِ في لغة العرب؛ فيأتي للفراقِ، ويأتي
للوصل⁽²⁾، وتأسيسًا على ما تقدَّم فلا يناسبُ سياقَ الجملةِ إِلَّا لفظُ
(خلال) بمعنى الوسط؛ لدقَّتِهِ في التَّعبيرِ.

لفظ خادل
بمعنى الوسط،
والبين بمعنى
الوصل، والأوّل
أنسب للسياق

(1) التَّسْفِي، مدارك التنزيل: 2 / 277.

(2) ابن الأثيري، الأضداد، ص: 75.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»